المحاضرة الأولى
عنوان هذه المحاضرة

التعريف بمادة مناهج المحدثين ،

ومراحل تدوين السنة ،

والتدوين في القرنين الأول والثاني الهجريين

(أولًا)

التعريف بمادة مناهج المحدثين

أهداف هذه المادة:

1- التعريف بمشاهير المحدثين ، وما بذلوه من جهد في خدمة السنة جمعاً ، وتمييزًا للمقبول من غيره.

2- التعريف بمناهج التصنيف في الحديث ، وسبل التعامل مع هذه المناهج بما يوفر الجهد والوقت.

3- التعريف بقيمة المصنفات في الحديث ، ومنهج الرد على الطاعنين والمشككين.

يقصد بمناهج المحدثين :

الطرق التي سلكها الأئمة المحدثون في رواية الأحاديث، والتعليق عليها، وتصنيفها، بحسب شروط معينة.

أو بمعنى آخر :

أصولهم في نقدهم الرواة ومروياتهم، واصطلاحاتهم في فنهم، وشروطهم في تصنيف كتبهم، ومواردهم فيها، وكل ما يتعلق بهذه المسائل.

أنواع مناهج المحدثين:

يمكن تقسيم مناهج المحدثين باعتبارات متعددة، منها:

1- العموم والخصوص:

حيث توجد مناهج عامة اتبعها جميع المحدثين في الرواية والتحمل والكتابة ونحو ذلك، ومناهج خاصة تتعلق بشروط كل . إمام في الأسانيد والمتون التي أوردها في مصنفه

2- التقدم والتأخر:

حيث اعتمد الأئمة المتقدمون أسلوبا وطريقة تناسب قِصَر أسانيدهم وزيادة ضبطهم، وسار الأئمة المتأخرون على منهاج مغاير لذلك، يتوافق مع طول الأسانيد وقلة الضبط ونحو ذلك.

3- التشدد والتساهل :

لم يتفق الأئمة المحدثون على منهج واحد في التصنيف أو في الحكم على الرجال بالضبط أو العدالة وغير ذلك، وإنما تنوعت مناهجهم وتباينت،

وعندما تمت المقارنة بين كتبهم وأحكامهم على الرجال وجدنا منهم المتشدد والمعتدل والمتساهل .

فوائد معرفة مناهج المحدثين:

1- الوقوف على طريقة اختيار الأحاديث وترتيبها بالنسبة إلى بعضها، حيث يفيدنا ذلك في معرفة الناسخ من المنسوخ، والراجح من المرجوح، وطرق الجمع بين الأحاديث المختلفة، وشرح الغريب، وذلك بمقارنة الروايات ببعضها، وتمييز المدرج في الحديث من نص الحديث.

2- التعرف على شروط الأئمة أصحاب المصنفات، وتمييز المعتدل من المتشدد والمتساهل منهم، فما يصححه ابن حبان قد لا يصححه البخاري، وما يصححه الحاكم قد لا يوافقه على تصحيحه الذهبي أو غيره.

فوائد معرفة مناهج المحدثين:

3- معرفة الطرق التي تم بها تحمُّل كل حديث وأداؤه، سماعا أو عرضا أو إجازة أو وجادة أو غير ذلك من طرق التحمل. والأداء، وذلك يفيد في معرفة المتصل والمنقطع ونحو ذلك

4- معرفة مكانة ومنزلة أصحاب المصنفات، والوقوف على ما بذلوه من جهد في رواية الحديث ونقده.

فوائد معرفة مناهج المحدثين:

5- معرفة طرق التصنيف، حيث يفيد ذلك في معرفة طرق تخريج الأحاديث، كما أن معرفة مناهج المحدثين في تدوين الحديث وضبطه يفيدنا كثيرا في تحقيق المخطوطات الحديثية.

6- تنمية الفكر العلمي والمنهجي، وصقل مهارة البحث، وإيجاد روح الإبداع والرغبة في التطوير وفق أسس علمية مدروسة ومناهج دقيقة.

(ثانيًا)

مراحل تدوين السنة

مراحل تدوين السنة:

(1) الرد على شبهة النهي عن كتابة السنة:

قبل الشروع في موضوع تدوين السنة ، نتناول شبهة تدور على ألسنة بعض المغرضين، ألا وهي شبهةُ : "نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن كتابة السُّنة "، ونرد عليها.

أ- الأدلة على النهي:

أخرج مسلمٌ في "صحيحه" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ - قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسِبُهُ قَالَ - مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" .

ب- الأدلة على الإباحة :

أولاً : ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة -رضى الله عنه - قال: (ما من الصحابة أكثر حديثاً مني ، إلَّا ما كان من عبدالله بن عمروٍ بن العاص ، فإنه كان يكتب ، ولا أكتبُ) .

ثانياً: وأخرج البخاري أيضاً عن أبي هريرة -رضى الله عنه - أنه قال : خطب رسول الله –صلى الله عليه وسلم – في فتح مكة ... إلى أن قال : " اكتبوا لأبي شاة " .

ثالثاً :ما أخرجه أحمد في "مسنده" بسندٍ جيدٍ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رضى الله عنهما - قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنِّى أَسْمَعُ مِنْكَ أَشْيَاءَ، أَفَأَكْتُبُهَا؟ قَالَ : " نَعَمْ " . قُلْتُ: فِى الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ قَالَ :" نَعَمْ ؛ فَإِنِّى لاَ أَقُولُ فِيهِمَا إِلاَّ حَقًّا " .

الجمع بين أحاديث النهي وأحاديث الإباحة:

ويتلخص هذا الجمع فيما يلي:

أولاً : أن يكون ذلك من منسوخ السُّنة بالسُّنة ، أي : أنه نهى عن كتابة الحديث في أول الأمر ، خشية التباس القرآن بغيره ،

أي: أن النهى كان حين خيف اختلاط الحديث بالقرآن ، فلما أُمن ذلك أُذن فى الكتابة.

ثانياً: أن يكون النهي منصبًّا على كتابة القرآن مع غيره في صحيفةٍ واحدةٍ ؛ حتى لا يختلط القرآن بالحديث، فيشتبه على القارئ .

ثالثاً : أن النهي خاصٌّ بمن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ ، والإذن لمن أمن عليه ذلك ، كحديث :"اكتبوا لأبى شاه" وحديث أبى هريرة : (أن عبد الله بن عمرو كان يكتب، ولا أكتب) ، وغير ذلك من الأحاديث .

(2) الفرق بين التدوين والتصنيف:

التدوين لغةً : هو تقييد المتفرق المشتت ، وجمعه في ديوانٍ ، أو هو كتابٍ تجمع فيه الصحف .

قال الفيروزآبادي في "القاموس" : "التدوين مجتَمع الصحف " .
وقال شارحه في "تاج العروس" : "وقد دونه تدويناً : جمعه " .

أما **التصنيف** : فهو أدق من التدوين ،

فهو ترتيب ما دوِّن في فصولٍ محدودةٍ ، وأبوابٍ مميزة . قال في "تاج العروس" : " وصنفه تصنيفاً: جعله أصنافاً ، وميز بعضها عن بعض ، ومنه: تصنيف الكتب " .

(3) بداية التدوين والتصنيف ومراحلهما :

أ- نظرة عامة على البدايات وطرائق التصنيف:

كانت بداية التدوين والتصنيف في زمن التابعين،

وكان أول من صنف في الإسلام ابن جريج، وقيل: مالك بن أنس للموطأ،

ثم جاء أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم،

فكان لكل منهم طريقةٌ ومنهجٌ في جمع السنة وتصنيفها.

1- فمن المصنفين من اقتصر على تدوين الحديث مطلقا؛ ليُحفظ لفظه ويُستنبط منه الحكم،

2- ومنهم من أثبت الأحاديث في مسانيد رواتها، فيذكر مسند أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ويثبت فيه كل ما رواه عنه، ثم يذكر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وهكذا واحدا بعد واحد،

كما فعل الإمام أحمد بن حنبل وغيره.

3- ومنهم من يُثبت الأحاديث في الأماكن التي هي دليل عليها، فيجمع الأحاديث تحت الأبواب،

فإن كان الحديث في معنى الطهارة ذكره في باب الطهارة، وإن كان في معنى الصلاة ذكره في باب الصلاة،

كما فعل الإمام مالك في "الموطأ"،

واقتدى به مَن بعده كالبخاري ومسلم،

وكذا أصحاب السنن كأبي داود والترمذي وغيرهما.

4- ومنهم من استخرج الأحاديث التي تتضمن ألفاظا لغوية ومعاني مشكلة،

فوضع لها كتابا قصره على ذكر متن الحديث وشرح غريبه وإعرابه، ولم يتعرض لذكر الأحكام،

كما فعل الإمامان أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة.

5- ومنهم من قصد ذكر الغريب دون متن الحديث، كما فعل الإمام أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي وغيره.

6- ومنهم من قصد استخراج أحاديث تتضمن الترغيب والترهيب، وأحاديث تتضمن أحكاما شرعية، فدوّنها وفق ترتيب معين،

كما فعل أبو محمد البغوي في "مصابيح السنة" .

(ثالثًا)

التدوين في القرن الأول الهجري

(1) تدوين السُّنَّة بدأ في حياة النبى - صلى الله عليه وسلم -:

اشتهر بين عامة الناس من غير ذوي التتبع والاستقصاء أن الحديث ظلَّ أكثر من مائة سنة يتناقله العلماء حفظاً دون أن يكتبوه، واستمرَّ هذا الظن طويلًا.

وسبب هذا الظن فهو خطأ في تأويل ما ورد عن المحدِّثين في شأن تدوين الحديث وتصنيفه، فقد ذكر هؤلاء أنَّ أوَّل من دوَّن العلم – أي : الحديث - ابن شهاب الزهري المتوفى سنة (124 أو125 هـ) .

وهذا خطأ تاريخي ،

وقد درس الإمام الخطيب البغدادي في كتابه: "تقييد العلم" هذه المسألة بشكل موسع ومدعم بالأدلة التاريخية الموثقة.

وأهم النتائج التي يمكن استخلاصها من الكتاب:

أولاً: أنه لم يصح حديث في النهي عن كتابة الحديث سوى حديث أبى سعيد الخدري الذي رواه مسلم.

وقد سبقت طرق جمع العلماء بينه وبين أحاديث إباحة الكتابة.

ثانياً: أن الأمر استقر في حياته - صلى الله عليه وسلم - على إباحة الكتابة، وهناك أدلة على ذلك، سبق أيضًا ذكر بعضها.

ثالثاً: أن التدوين بمعناه الواسع - وهو الجمع - قد بدأ في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - .
رابعاً: أن امتناع من امتنع من الصحابة والتابعين عن كتابة الحديث ليس للنهي الوارد في حديث أبي سعيد الخدري،

ولكن هذا الامتناع معلَّلٌ بأسبابٍ أخرى ، منها:

1- الخوف من انكباب الناس على الكتب وانشغالهم بها عن القرآن، وقد أورد الخطيب عن السلف النصوص الكثيرة المصرحة بذلك.

2- الحفاظ على ملكة الحفظ عند المسلمين ؛ إذ الاتكال على الكتاب يضعفها،

ولذلك كان بعضهم يكتب ثم يمحو ما كتب،

ولو كان النهي عن الكتابة مستقراً عندهم لما كتبوا ابتداءً.

(2) جهود الصحابة رضي الله عنهم في تدوين السُّنَّة المطهَّرة ونقلها إلى الأمَّة:

لقد كانت جهود هذا الجيل المبارك هي الأساس الأول في تدوين السُّنَّة وحفظها ونقلها إلى الأمة، كما كانت جهودهم - رضوان الله عليهم - هى الأساس في نشر الدين وترسيخ العقيدة وحماية السُّنَّة من كل ما يشوبها.

وفيما يلي نماذج من تلك الجهود:

1- الحث على حفظ الحديث وتثبيت ذلك الحفظ:

حتى كان كثير منهم يأمر تلاميذه بالكتابة لتثبيت حفظهم ، ثم محو ما كتبوه ؛ حتى لا يتكل على الكتاب.

2- الكتابة بالسُّنَّة بعضهم إلى بعض:

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ- كتب جابر بن سمرة - رضي الله عنه - بعض أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعث بها إلى عامر بن سعد بن أبى وقاص ؛ بناء على طلبه ذلك منه.

ب- جمع سمرة بن جندب ما عنده من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعث به إلى ابنه سليمان.

3- حث تلاميذهم على كتابة الحديث وتقييده:

ومن أمثلة ذلك:

أ- كان أنس بن مالك - رضي الله عنه - يحثُّ أولاده على كتابة العلم ، فيقول: "يا بني قيدوا العلم بالكتاب"، وكان يقول - رحمه الله ورضي عنه -: "كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه علماً" .

ب- روى عدد من تلاميذ عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - حَبر الأمَّة أنه كان يقول: "قيدوا العلم بالكتاب، خير ما قُيِّد به العلم الكتاب".

4- تدوين الحديث في الصحف وتناقلها بين الشيوخ والتلاميذ:

ولقد كانت هذه الصحف هى النواة الأولى لما صنف في القرنين الثاني والثالث من الجوامع والمسانيد والسنن وغيرها،

ومن أمثلة هذه الصحف ما يلى:

أ- صحيفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها فرائض الصدقة.

ب- صحيفة علي بن أبى طالب رضي الله عنه.

وقد روي من عدة طرق عن علي بن أبى طالب أنه خطب الناس فقال: "من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه ليس في كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة فقد كذب".

قال الراوي عنه: "وكانت الصحيفة معلقة في سيفه.

ج- صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص، المعروفة بالصحيفة الصادقة.

عن مجاهد قال: "أتيت عبدالله بن عمرو فتناولت صحيفة من تحت مفرشه، فمنعني، قلت: ما كنت تمنعني شيئاً، قال: هذه الصادقة، هذه ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه أحد".

هذه الصحف الثلاث كتبت في حياته - صلى الله عليه وسلم –.

وهناك غيرها كثير مما كتب في حياته - صلى الله عليه وسلم -.

د- صحيفة عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه، ذكرها الإمام البخاري في كتاب الجهاد من "صحيحه" باب الصبر عند القتال.

هـ- صحيفة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

و- صحيفة جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

ز- الصحيفة الصحيحة التي يرويها همام عن أبي هريرة - رضي الله عنه - من حديثه.

(3) جهود التابعين في تدوين السُّنَّة المشرفة:

تلقى التابعون - رحمهم الله – السُّنَّة، بل الدِّين كله عن الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم – فقاموا بمهمة تبليغ الرسالة من بعد شيوخهم إلى الناس كافة، فكانوا خير جيل بعد ذلك الجيل.

وقد بذل جيل التابعين في خدمة السُّنَّة وتدوينها وحفظها جهوداً كبيرة.

وفيما يلي نماذج من تلك الجهود:

1-الحث على التزام السُّنَّة وحفظها وكتابتها والتثبت في روايتها وسماعها:

ومن أمثلة ذلك:

أ- عن سعيد بن جبير قال: "كنت أكتب عند ابن عباس في صحيفتي حتى أملأها، ثم أكتب في ظهر نعلي، ثم أكتب في كَفِّي".

ب- عن الحسن البصري قال: "ما قُيِّد العلم بمثل الكتاب، إنما نكتبه لنتعاهده".

2- تدوينهم للسُّنَّة في الصحف:

انتشرت كتابة الحديث في جيل التابعين على نطاق أوسع مما كان في زمن الصحابة، إذ أصبحت الكتابة ملازمة لحلقات العلم المنتشرة في الأمصار الإسلامية آنذاك.

ولعل من أسباب ذلك التوسع ما يلي:

أ- انتشار الروايات، وطول الأسانيد، وكثرة أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم.

ب- موت كثير من حفَّاظ السُّنَّة من الصحابة وكبار التابعين ؛ فخِيف بذهابهم أن يذهب كثير من السُّنَّة.

ج- ضعف ملكة الحفظ ، مع انتشار الكتابة بين الناس ، وكثرة العلوم المختلفة.

د- ظهور البدع والأهواء وفشوِّ الكذب، فحفاظًا على السُّنَّة، وحمايةً لها من أن يدخل فيها ما ليس منها: شُرِع في تدوينها.

هـ- زوال كثيرٍ من أسباب كراهة الكتابة.

وقد كتب في هذا العصر من الصحف ما يفوق الحصر.

3- جهود الإمامين عمر بن عبد العزيز وابن شهاب الزهري في تدوين السُّنَّة:

جهودهما - رحمهما الله تعالى - في نشر السُّنَّة وقمع البدعة - قولاً وفعلاً - أشهر من أن تذكر في هذا المقام.

فقد أخرج البخاري في "صحيحه" عن عبدالله بن دينار قال: "كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم – فاكتبه ؛ فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي - صلى الله عليه وسلم-، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً".

والمراد بهذا الأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز : التدوين الشامل، الذي بدأه فعلاً الزهري.

وقد سبق أن ذكرنا أن التدوين قد بدأ من عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعصر الصحابة والتابعين أيضاً،

لكن لم يكن بذلك الشمول والاستقصاء.

(رابعًا)

التدوين في القرن الثاني الهجري

مقدمة:

يشمل هذا القرن عصر جيلين:

الأول: صغار التابعين،

والثاني: أتباع التابعين ، وهم الحلقة الثالثة - بعد جيل الصحابة والتابعين - في سلسلة رواة السُّنَّة ونقلة الدِّين إلى الأمَّة.

ولقد كان لأتباع التابعين أثره الرائد في التصدي لأصحاب البدع والأهواء، ومقاومة الكذب الذى فشا في هذا العصر على أيدي الزنادقة الذين بلغوا ذروة نشاطهم ضد السُّنَّة ورواتها في منتصف هذا القرن.

وقد نشط الأئمة والعلماء من هذا الجيل في خدمة السُّنَّة وعلومها وحمايتها من كل ما يشوبها.

وعلى أيديهم بدأ التدوين الشامل المبوَّب المرتَّب، بعد أن كان من قبلهم يجمع الأحاديث المختلفة في الصحف والكراريس بشكل محدود ، وكيفما اتفق بدون تبويب ولا ترتيب.

- سمات التدوين في هذا القرن:

أ- ظهور التفريق بين **التدوين** الذي هو مجرد الجمع ، وبين **التصنيف** الذي هو الترتيب والتبويب والتمييز في المصنفات في هذا القرن.

ب- أن هذه المصنفات المدونة في هذا العصر قد جمعت إلى جانب أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، بعد أن كانت تتناقل مشافهة وكانت الصحف فيما مضى تقتصر على الأحاديث النبوية فقط.

ج- طريقة التدوين في مصنفات هذا القرن هي: جمع الأحاديث المتناسبة في باب واحد ، ثم يجمع جملة من الأبواب أو الكتب في مصنف واحد، بينما كان التدوين في القرن الماضي مجرد جمع الأحاديث في الصحف بدون ترتيب أو تمييز.

د- إن مادة المصنَّفات في هذا القرن قد جمعت من الصحف والكراريس التي دونت في عصر الصحابة والتابعين، ومما نقل مشافهة من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

وقد حملت مصنفات علماء القرن الثاني عناوين: موطأ – مصنف – جامع - سنن،

وبعضها كان بعناوين خاصة مثل: الجهاد – الزهد - المغازي والسير.

وممن اشتهر بوضع المصنفات في الحديث في هذا القرن:

1- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت 150 هـ) **بمكة**.

2- محمد بن إسحاق (ت 151 هـ) **بالمدينة**.

3- معمر بن راشد الصنعاني (ت 153 ه) **باليمن**.

4- سعيد بن أبى عروبة (ت 156 هـ) **بالبصرة**.

5- عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت 156 هـ) **بالشام**.

6- سفيان بن سعيد الثوري (ت 161 هـ) **بالكوفة**.

7- الليث بن سعد (ت 175 هـ) **بمصر**.

8- الإمام مالك بن أنس (ت 179 هـ) **بالمدينة**.

‘‘‘

بتوفيق للجميع

khlaed